

تقييد

تراث المعري :

منذ ثلاث سنوات تألفت في وزارة المعارف لجنة من الأساتذة الأفاضل : إبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون ومصطفى السقا وعبد الرحيم محمود وحامد عبد المجيد لتقوم على بحث تراث الشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري ونشره مصححاً ، وترحه شرحاً يقره من الأذهان ، وهو عمل جليل أشدنا به على صفحات الرسالة من قبل ، وباركنا ما بدأ من أثر ذلك في همة اللجنة وعنايتها .
وإني لأشهد الله أن أعضاء اللجنة الأفاضل قد تجردوا المهمتهم في عزيمة صادقة ، وعكفوا عليها في صبر العلاء وشفقتهم بمكاره الدرس والراجعة ، فانفردوا في غرفة منزلة بدار الكتب المصرية بين أكادس من المخطوطات ومجفوف الطوامير يراجمون ويحققون ويبدلون ماء عيونهم لإلقاء النور على ذلك التراث المدفون ، فكأنهم جماعة العلاء الذين يكفون على الأبحاث الذرية في أمريكا ...

وقد استطاعت اللجنة أن تخرج في هذه المدة كتاب « تعريف القدماء بأبي العلاء » ، والجزأين الأول والثاني من « سقط الزند » وما له من شروح ، وهي الآن بصدد إخراج الجزء الثالث منه ، وستتمه بجزء رابع يتضمن فهارس كاملة ، ثم تأخذ بعد ذلك في إخراج ديوان « لؤم ما لا يلزم » وما عليه من الشروح ...

ولكنني لاحظ أن اللجنة تضي بطيئة في أداء مهمتها وإنجاز عملها ، وقد سألت فقيل لي إنها تحتاج إلى أكثر من عشر سنوات لافراغ من هذا العمل إذا سارت بهذه الخطوات ، ومعنى هذا أنها ستخرج ذلك التراث للجيل القادم ، على أن اللوم في هذا البطء لا يرجع إلى اللجنة ، بل إنها نفسها تشكو ذلك وتحرص على أن تسير في عملها بخطى واسعة ، وإنما اللوم على نظام دار الكتب ، لأن المطبعة لا تصف اللجنة في إنجاز الطبع والإخراج بحجة كثرة العمل ، وذلك في الوقت الذي نجد فيه

هذه المطبعة الوقت الواسع جداً لإخراج مؤلفات مدير الدار ومؤلفات المؤلفين الذين يتاجرون بمؤلفاتهم مع أن الواجب يقضي بأن تخصص مطبعة الدار لإنجاز مطبوعات الدار .

ومسألة أخرى تدعو إلى العجب ، وهي أن ما تخرجه اللجنة من آثار المعري تضع وزارة المعارف يدها عليه وتنقله إلى مخازنها ولا تسمح إلا بإهدائه لذوي الجاه في الدولة ممن لا بينهم المعري وراثه في كثير ولا قليل ، فكأنني بالوزارة قد قررت بث تراث المعري لتنقله إلى قبر جديد .

كلا ! إن هذا التصرف ليس بالعمل الذي يؤثر في خدمة الأدب ، وقد أحسنت الوزارة من قبل يوم أن قامت بطبع ديوان حافظ إبراهيم وعرضه للبيع بنفقات الطبع ، فهل لها أن تؤثر هذا الصنيع في بث تراث المعري ونشره والإفادة به ؟ !
ولكنهم المعلوم :

نشرت إحدى الصحف خبراً زعمت فيه أن المعلمين ألفوا عصابة من بينهم لبيع أسئلة الامتحانات العامة ، وأن التحقيق كشف عن أمور خطيرة من أعمال هذه العصابة ، ولما كانت تلك الصحيفة قد هولت في إيراد الخبر وتهجمت به على كرامة المعلمين ، فقد أذاعت « جومية المعلمين » بياناً على الصحف ترد على هذا التهمج وتقول « وما كان للصحيفة المذكورة أن تتسرع بهذا الاتهام حتى ينتهي التحقيق وتظهر براءة البريء إن كان بريئاً وذنوب المذنب إن كان مذنباً ... »

وأنا لا يعني هنا تلك الواقعة ، ولا تصحيحها ، ولكنني أشهد الله أني لا أفهم « براءة البريء إن كان بريئاً » ولا أعرف ذلك في أسلوب عربي إلا أسلوب الصحف التي تقول :
« وتزوجها زوجها وعاشرها معاشرته الزوجية .. »

ولو أن هذا التمييز وقع من جماعة المهندسين مثلاً لأغضبتنا عنه ، وقلنا إنه أمر ليس من صميم صناعتهم فلا لوم عليهم ولا بتقينا له أوجه التأويل ، ولكنهم المعلمون وصناعتهم العلم ، وهم الذين يتمهدون أبناءنا في تعليم اللغة والبيان ، فيأضيمة الأبناء الساكنين ، وبأضيمة اللغة والبيان ، إذا كانت لغة المعلمين من نحو « براءة البريء إن كان بريئاً .. »

طاه آباؤنا أبر وأكرم :

نشرت مجلة « المسامرات » في عددها الأخير صفحة مصورة عن إنشاء بيت في لندن لتأجير ما يلزم للمرائس من الثياب ليلة الزفاف نظير مبلغ خمسة جنيهات وذلك تخميراً عن الفتيات الرقيقات الحال واللاتى لا يستطعن الحصول على الثياب اللائقة بهن نظراً لشدّة قيود التموين التي لا تزال قائمة في إنجلترا ، وقد أشادت المجلة بهذا الصنيع كما أشادت به المجلات والصحف الإنجليزية وقالت إنه عمل مشكور أعاد الإنشراق إلى وجوه المرائس وأدخل السرور والانشراح على قلوبهن .

قلت إن هذا من مآثر آباؤنا السابقين ومكارمهم التي من هذا القبيل ، فقد كانت أبر وأكرم ، وكان عملهم مما يدل على عراقة الروح الإنسانية في نفوسهم .

فن ضمن وثائق الأوقاف الإسلامية وثيقة بوقف خيرى في مكة المكرمة لإعارة الخلى وأدوات الرينة للفقراء ومتوسّطى الحال في الأعراس والأفراح بحيث يستمرون منه ما يلزمهم حتى تظهر المروس في المظهر اللائق جبراً لحاظها ثم يرد مكانه بمدضى مدة الفرح المعتادة ، كما كان في مكة أيضاً وقف لإعارة الفروشات وأدوات السفر في إقامة الولائم والحفلات .

وذكر ابن بطوطة في رحلته وفقاً في دمشق اسمه وقف « الزبدي »^(١) وهو مكان توجد فيه الأواني الفاخرة من الصين وقفها أصحابها بحيث إذا كسر خادم آنية في مطبخ سيده وخاف أن يضربه السيد أو يحسم منها من أجرته قصد إلى ذلك المكان وسلم الآنية المكسورة وتسلم بدلها صحيحة ، وقد علمت أن في فاس وفقاً مثل هذا الوقف ، وكذلك في تونس .

ومن العلف ما يتصل بهذا وقف في فاس خصص ربه لمن وقع على ثيابه زيت من الفقراء أو مادة ملونة تذهب بهجته وجدته كالخبر ، فيأخذ منه نقوداً ويشتري ثوباً جديداً مما تلا ذلك الثوب الذي كان يلبسه

وفي تونس وقف لتوزيع الشابات الفقيرات ، وآخر لختان الأولاد الفقراء وإعطائهم كسوة ودرام وتلك لتوزيع الحلوى على المحتاجين بالجنان في شهر رمضان

(١) وهي السلطانيات ببلدة أهل الشام

وفي مرا كش مؤسسة اسمها « دار الذمة » عليها أوقاف كثيرة ، وهي دار تقصد إليها النساء اللاتي يقع بينهن وبين أزواجهن نفور وليس لهن عائلات ، فيقمن فيها آكلات شاريات متمتمات بكل وسائل الرفاهية حتى يذهب ما بينهن وبين أزواجهن من الجفوة ويمدن إلى دار الزوجية .

وفيها أيضاً مكان اسمه « سيدى فرج » عليه أوقاف كثيرة تدبر الأموال الوفيرة ، وقد أوقفها أصحابها لإيواء المجاذيب ولتجهيز الولى من الفقراء ونكفيتهم ، وشراء ملابس توزع على الفقراء في أول الشتاء .

ودوى الكاتبان الفرنسيان الأخوان « جان وجيروم تاروه » في رحلتهم إلى مرا كش أنهما شاهدا هناك مؤسسة لا يوجد مثلها في الدنيا ، وهي دار كبيرة فسيحة تتسع لسنة آلاف ممن أصيبوا بمحنة العمى من الفقراء ، فيقيمون فيها يأكلون ويشربون ويقراون ، ولهم أنظمة وقوانين بسميون عليها ، وتشرف على شئونهم إدارة كبيرة تدبر لهم كل وسائل الراحة والرفاهية ...

وفي أوقاف مصر وقف لسكنى الأيتام الفقيرات ، ووقف آخر لكسوة أولاد الفقراء ، وتلك لإطعام الكلاب التي ليس لها أصحاب ...

فهذه ، وأمثالها كثير ، مما يطول سرده وعده ، من مآثر آباؤنا الكريمة ، وأربحيتهم النبيلة ، التي كانوا يبذلونها استجابة لداعى الإنسانية ، وتلبية لنداء الخير والمروءة ، وما كانوا يرجون عليها أجراً إلا ثواب الله وحسن جزائه ، فكل ما يجرى الآن من صنائع المدنية الحديثة في الترفيه عن الفقراء وإدخال السرور على نفوسهم لا يعدل قليلاً من ذلك الذى كان .

والواقع أن روح الإنسانية التي تملك آباءنا السالفين ، ووصلت قلوبهم بقلوب الفقراء ، هي التي وقت المجتمع الإسلامى على تطاول المصور من الهزات الاجتماعية العنيفة ، ومن الثورات التي تصطدم بها النفوس المحرومة على أهل السمة وأصحاب الأموال ، وليس من المعقول أن يتور الفقراء أو ينقموا السادة على الأفتياء ما داموا يجردون في أموالهم الحق المعلوم للوسائل والمحروم ...

« الجاملط »